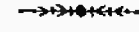


محمد إسعاف النشاشيبي

مدرسة أدبية

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني



لو شئت أن ترى الأديب الذي يمد يحن عنواناً على «الأدب»
لكان عليك أن تسمى إلى لقاء إسعاف النشاشيبي في مجلسه .
ولكنه مات ، فاخفت بموته صورة فذة فريدة إن بظفر
التاريخ بمثلها . وقد تجد نماذج للكثير من أدبائنا البارزين ،
وصوراً نحاً كي أساليبهم وطرائقهم وفكرهم ، ولكنك لن تثر
مع التنقيب الشديد ، على صورة تشبه إسعاف ، مع كثرة تلاميذه
واحتفال مجلسه بالناس ، وإطلاع القراء على الإسلام الصحيح
من كتبه ، وشوق وحافظ وغيرهما من خطابه ، ونقل الأديب
عما كان يتابع نشره في الرسالة .

ذلك لأنه أعلى من المحاكاة ، وأسمى من التقليد .

ومع ذلك فهو الأديب الذي كما تمثلته تمثلت الأدب في
الجاهلية وصدر الإسلام كيف كان ، وكيف ينبغي أن يكون .
فقد قيل « إن الأدب أن تجمع من كل شيء بطرف » وكان هذا
شان إسعاف النشاشيبي : يحدّثك في الفقه والشريعة ، وآراء
المعتزلة وعلماء الكلام ، ونظريات الفلاسفة والحكماء ، وطرائف
الكتاب ونوادير الشعراء ، مع امتلاك ناصية العربية وهي
كما تعلم من أوسع اللغات ، وإلمام بالأدب والعلم والفلسفة في أوروبا
الحديثة إلماً يدل على طول الباع وعظم المنزلة .

فإن قلت : عندنا كثير من الأدباء يجمعون بين هذه المعارف ،
ويأخذون من كل شيء بطرف .

قلت : ولكنك لم تحظ بالاستماع إلى إسعاف ، فهو في
مجلسه وحديثه غيره في كتبه ومقالاته . والفرق بين هذا وذاك
هو الفرق بين المقروء والمسموع ، بين اللفظة وهي على الورق
جثة هامدة ، والعبارة صوّدت خرجت من فم تملأ بالحياة ، وتنفذ
إلى القلوب ، وتستقر في الأسماع .

وهل كان الأدب في القديم إلا مجالس وأسواقاً ؟ .
وهو يفسد حين يؤخذ من الكتب ويحفظه التاديبون
كما تفعل البيهقي .

يرى أن أفلاطون لم يدون دروسه في الأكاديمية ، لأن
العلم عنده لا يكون إلا سماعاً أو حواراً .

عرفت إسعافاً منذ بضع سنين في مجلسه بالكويتة قال ،
فكان حلقة تضم صفوة الأدباء والشعراء وهو فيهم درة المقدم ،
أو كأنه الشمس تحف به السكواكب .

فإذا جاء ذكر محمد عليه السلام ، قال إسعاف : الله أكبر
نبي الإسلام .

كان يتقن بهذا الدين ، ويتقن بلهجته الرسول .

وفي ذلك ألف كتابه « الإسلام الصحيح » . نفدت
طبعته ، وكان يفكر في إعادة إصدارها بزيادة شواهد وتعليقات جديدة
من خمسمائة مرجع . ولا يهولك هذا الرقم ، فهو حقاً عظيم
الإحاطة واسع الاطلاع .

أراد أن يهدي إلى هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن يملك منه
نسخة واحدة . وسمعت أن أجده منه نسخة فلم أعتز . وسمع
الأستاذ عادل زعير بطلي فقال عندي نسختان فأرسل يطلب من
فلسطين واحدة هي الآن في حوزتي . تقرأ في استهلال الكتاب
« الإسلام هو الدين الحق [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن
يقبل منه] ومحمد خير الخلق . وهذا الكتاب ، وهذا الأثر ،
وهذا تلخيص البشر فافقوا كتاب كل دين ، وانظروا كل عظيم ،
وقتش صحف التاريخ . واحكم إن كنت من الحاكين » .

هذا شعر منشور .

وهذا كلام لا يجري به القلم أو ينطق به اللسان ، بل هو
صدى القلب ، وقبس من نور اليقين .

ما كنت أسمع في مجلسه إلا اعتزازاً بالروية ودفاعاً عن
الإسلام الصحيح . فهو حلقة أو مدرسة مرت روحه في
شباب الجيل .

طيب الله ثراه ، وأدخله فسيح الجنات .

أحمد فؤاد الأهواني